تطور الفكر الإسرائيلي بالانتقال من إشكالية الوجود الى جزئية الحدود

Israeli thought developed by moving from the problem of existence to the partial borders

إسماعيل زروقة

جامعة المسيلة، الجزائر، ismail.zerrouga@univ-msila.dz

نورالدين فلاك

جامعة المسيلة، الجزائر، noureddine.fellak@univ-msila.dz

تاريخ الإرسال: 2021/03/31 **تاريخ القبول:** 2021/06/20 **تاريخ النشر:** 2021/07/10

ملخص:

تعتبر المدرسة الإسرائيلية من المدارس الفكرية المتميزة، التي استطاعت ان تقيم "دولة" بطريقة غير طبيعية في بيئة معادية، في مساحة ضيقة مواردها محدودة وبعدد سكان قليل، ومع مرور الوقت استطاعت هذه "الدولة " إقامة علاقات رسمية وفتح لتمثيلاتها الدبلوماسية داخل هذه البيئة تواليا، بفضل المنطلقات والأسس الفكرية التي اعتمدتها هذه المدرسة، في إدارة هذا الصراع وتحويله من القضية المركزية التي تتمحور في جوهرها على رفض الوجود، الى مسألة جزية تتعلق بنزاع بين دولتين حول ترسيم الحدود، وبالتالي تحاول هذه الورقة البحثية تقديم قراءة نقدية لمضامين هذه.

الكلمات المفتاحية: *الفكر الإسرائيلي؛ الصراع العربي الإسرائيلي؛ الردع الإسرائيلي؛ الايباك؛ التطبيع.*

Abstract:

The Israeli school is considered one of the distinguished schools of thought that was able to establish an unnatural state in a hostile environment, in a narrow space and limited resources and a small population, and with the passage Thanks to the principles and intellectual foundations adopted by this school in managing this conflict and transforming it from the issue of From the central issue that revolves around In essence, the rejection of existence is based on a partial issue In a conflict between two states over demarcating borders, and therefore the research paper tries to provide a critical reading of the contents of this school, Which suit every stage.

Keywords: *The Israeli thought; the Arab-Israeli conflict; Israeli deterrence; AIPAC; normalization.*

* المؤلف المرسل: إسماعيل زروقة، ismail.zerrouga@univ-msila.dz

مقدمة:

لقد شهدت منطقة الشرق الأوسط عام 1948 حدثا سياسيا بارزا، بظهور كيان جديد بصورة غير طبيعية داخل دولة فلسطين، ووسط دول معادية كان من المفترض الا يستمر هذا الوجود فترة زمنية طويلة، وتكون النتيجة هي زوال هذا الكيان، بالنظر الى موازين القوى بين إسرائيل والدول العربية في تلك المرحلة، التي كانت تميل كلها الى صفها، سواءا المقوم الديموغرافي، أو الجيوبوليتيكي وحتى العسكري، وهذا بتصريح القادة الإسرائيليون انفسهم، ولكن النتيجة كانت تكريس هذا الوجود، والحفاظ على هذا المكتسب الاستراتيجي، ثم زيادة القوة increasing power، بحسب المنطلقات الفلسفية للمدرسة الواقعية، لتصبح هذه الدولة محورية ومفتاحية key and pivotal state في الشرق الأوسط، وعند البحث في هذا الموضوع يصطدم الاكاديمي بمدرسة فكرية صلبة ومتميزة، تعتمد على الأسس العلمية في بناء سياساتها الأمنية، لموائمة خصوصية كل مرحلة، واستخدام الأساليب المتطورة في الاستشراف لمواجهة التهديدات التي ستواجهها، لهذا تحاول هذه الدراسة الإجابة عن إشكالية مركزية وهي:

كيف استطاع الفكر الإسرائيلي التنظير لهذا الصراع مع البيئة المعادية وجعله مسألة حدودية وجر العديد من الدول الرافظة له الى الاعتراف والتطبيع؟

وللإجابة على هذه الإشكالية قمنا بصياغة الفرضية المركزية التالية:

تتبنى إسرائيل في صراعها مع الدول العربية استراتيجية تمتاز بالثبات على ضرورة تحقيق المصالح الحيوية، والتغير في قراءة تهديدات كل مرحلة عبر الأساليب المناسبة.

المنهجية المتبعة: لمعالجة هذا الموضوع ارتأينا استخدام منهج دراسة الحالة، لما يمكنه من جمع البيانات ودراسة الفكر الإسرائيلي كأكثر حالة تأثرت بالعداء والنكران العربي، حيث يهدف هذا المنهج الى التعمق في دراسة المتغيرات والعمليات والعوامل، بغية الوصول الى النتائج المرجوة من الدراسة.

1. دور مراكز الفكر الإسرائيلية

تعتبر مراكز الفكر think tanks واحدة من اهم العوامل المؤثرة في رسم السياسة الإسرائيلية، وفحصها وإعادة مراجعتها لتصحيح الاختلالات التي اعاقت فعاليتها، فهي تشكل ظاهرة إسرائيلية متميزة بالنظر الى الأبحاث ودراسة السياسات الكثيفة التي تقدمها لصانع القرار، فبمقارنة بسيطة بينها وبين مراكز الفكر في الدول العربية نجد أن هذه الأخيرة لاتمثل سوى 2 % من انتاج المراكز الإسرائيلية، فيعتبر الدور الأساسي الذي تلعبه يتمحور حول تحويل المعطيات والبيانات التي يتم تجميعها عن المجتمع الإسرائيلي والبيئة التي تحيط به الى سياسات واستراتيجيات للمواجهة والاحتواء والاختراق (بومهدي 2001، ص. 155)، لذلك تعتبر النظريات الأمنية التي مارستها إسرائيل في مواجهاتها المختلفة هي تجسيد لابحاث ودراسات انتجتها هذه المراكز، نذكر على سبيل المثال:

- مبدأ الحدود الامنة و نقل المعركة الى أرض العدو الذي كان نتيجة انعدام العمق الاستراتيجي الإسرائيلي، بسبب الموقع المعيق وضيق المساحة الجغرافية في البداية، جعل " yigal aloon " يعتقد أن: " إن الحدود الآمنة هي تلك الحدود السياسية التي ترتكز على عمق إقليمي وموانع طبيعية،مثل المياه والجبال والصحراء والممرات الضيقة التي تحول دون تقدم جيوش برية مزودة بالمدرعات وهي الحدود التي تمكن من اتخاذ وسائل

الإنذار الفعالة ضد اقتراب الطائرات المعادية من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنها الحدود التي يمكن أن تستخدم كقواعد مناسبة للقيام بهجوم مضاد (خوجة 2007، ص. 201)، ثم اضافت له "غولدا مائير" وصف الحدود الرادعة، وهي عبارة شاعت بعد ذلك في التصريحات الإسرائيلية، فاستعمل وزير الخارجية الإسرائيلي "أبا إيبن" في تصريح له بالقدس بتاريخ 1969/06/05 عبارة "الحدود التي يمكن الدفاع عنها".

- نظرية الحرب الخاطفة التي انتهجتها إسرائيل واشتهرت بها حرب 1967 أو كما تسمى في الاستراتيجية بحرب الأيام الستة six days war، نظرا للقدرة الفائقة لتعبئة الجيش الإسرائيلي واستدعاء جنود الاحتياط في ظرف 72 ساعة، وهي فترة جد قياسية مقارنة بالجيوش الأخرى وخاصة العربية، وتخوفا من طول مدة الحرب وأعبائها على الاقتصاد الإسرائيلي.

ويمكن تقسيم دور مراكز الفكر الإسرائيلي إلى مستويين هما:

- تصدير السياسة الخارجية الإسرائيلية للعالم.

- متابعة السياسات الدولية وتحليلها تجاه إسرائيل ومصالحها، ويتم ذلك على مجالات مختلفة، كحاجة إسرائيل لمصادر الدول الأخرى بمختلف فروعها، والحاجة الدولية إلى الخبرات الإسرائيلية (ثابت 2009، ص. 85)

عند اعداد الميزانية العامة كل سنة تولي الدولة أهمية بالغة للبحث العلمي وعلى رأسها مراكز الفكر، وهذا ما تفسره نسبة الإنفاق على البحث العلمي في إسرائيل، حيث بغت سنة 2006 4.7 % من ناتجها القومي الإجمالي ، ويعد القطاع الخاص الممول الرئيس لمراكز الفكر والبحث العلمي، حيث يبلغ حوالي 52% ، بينما يبلغ الإنفاق الحكومي 48%، ولو قارنا إنفاق الدول العربية بإسرائيل، فان إنفاق الدول العربية لم يتجاوز على مراكز البحث العلمي منذ عام 2000إلى 2007م أقل من 1% من دخلها القومي (ثابت 2009، ص. 52).

ولكن كون مراكز الفكر تقوم بمعظم مهامها بمعزل عن أضواء وسائل الإعلام يجعلها تحظى باهتمام يقل عما تحظى به المنابع الأخرى للسياسة الإسرائيلية، كالتنافس بين مجموعات المصالح، والمناورات بين الأحزاب السياسية، والتنافس بين فروع الحكومة المختلفة. وعلى الرغم من هذا الابتعاد النسبي عن الأضواء، فإن مراكز الفكر تؤثر على صياغة الاستراتيجية بخمس طرق مختلفة هي: توليد أفكار وخيارات مبتكرة في السياسة، وتأمين مجموعة جاهزة من الاختصاصيين للعمل في الحكومة، وتوفير مكان للنقاش على مستوى رفيع، وتثقيف مواطني اسرائيل عن العالم، فيمكن القول أن هذه المراكز تقوم بإمداد صانعي السياسة الاسرائيلية ووسائل الإعلام بتحليلات ودراسات تتعلق بكل القضايا الهامة مما يجعلها لاعبا هاما في تحديد أولويات الاستراتيجية و مساراتها.

تحتوي إسرائيل على أكثر من 50 مركز فكر يقومون بمعالجة القضايا الأمنية والسياسية و لاجتماعية والاقتصادية، ويحظر ندواتها صانعي القرار بمختلف رتبهم من رؤساء الحكومات والوزراء والجنرالات والبرلمانيين، نذكر من بينها مركز Jaffee center for strategic studies الذي أنشأ عام 1977 في جامعة

تل أبيب، ويتم تمويله من المجموعات اليهودية في الولايات المتحدة، ويصدر العديد من الدراسات والبحوث في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية،إضافة إلى مجلة سنوية باسم التوازن العسكري في منطقة الشرق الأوسط، كذلك المركز متعدد الاختصاص Hertzylia والذي تأسس عام 1994 إذ يعتبر مؤسسة أكاديمية خاصة، ومعهد بيغن/السادات لدراسات السلام الإستراتيجية وغيرها من المراكز الأخرى، ففي المؤتمر السادس لمركز Hertzylia سنة 2006 على سبيل المثال جاء في الملخص التنفيذي لهذه الدورة، على أن التحدي الجوهري الأخطر المطروح على الأجندة الإستراتيجية الإسرائيلية هو سعي إيران للحصول على القنبلة النووية، فصناعة السياسة الأمنية في إسرائيل مسألة شائكة وفي غاية التعقيد و التشابك والتداخل تساهم فيها جميع الفواعل سواء كانت المؤسسات السياسية كالحكومة والكنيست، أو المؤسسة العسكرية أو مراكز البحث والتفكير وحتى وسائل الإعلام، من أجل صياغة سياسة فعالة و قادرة على تحقيق الأمن القومي والحفاظ عليه .

2. دور اللوبي الإسرائيلي « AIPAC »

اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة "أيباك" وبالإنجليزية American Israel Public affairs commitee "AIPAC" وهي منظمة أمريكية صهيونية تأسست عام 1954 بغرض التأثير في السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط بحيث تتفق هذه السياسة مع المصالح الإسرائيلية والصهيونية، وهذه المنظمة مسجلة كجماعة ضغط (لوبي) lobby رسمية تقوم بمهمة الدعاية لدعم إسرائيل باسم الطائفة اليهودية الأمريكية، وهي من أقوى جماعات الضغط في الولايات المتحدة الأمريكية وأكثرها تأثيرا على الإطلاق (المسيري 1983، ص. 236) .

تعود الجذور التاريخية لهذه المنظمة إلى عام 1951 فيما قرر أشعياء كينن Isaiah Kenen عضو المجلس الصهيوني الأمريكي وبعد التشاور مع الزعماء الإسرائيليين آنذاك (أبإبيان وموشييه شاريت وتيدي كولك) (Tad Kellok-Moshe Sharett-Abba Ebian) تكوين لوبي صهيوني هدفه المباشر زيادة المساعدة الإقتصادية الأمريكية لإسرائيل، وفي عام 1954 تكونت اللجنة الصهيونية الأمريكية للشؤون العامة ثم تغير اسمها عام 1959 إلى اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة لكي تعمل من أجل سياسات أمريكية أكثر تأثيرا في الشرق الأوسط الأدنى، لتحقيق تسوية سلمية للصراع العربي الإسرائيلي وقد سجلت هذه اللجنة في الكونجرس الأمريكي وفقا لقانون جماعات الضغط "اللوبي" المحلية–كما أشرنا إليه سابقا- وهي القوانين التي تسمح للجماعات المختلفة التي يكون لها وجهات نظر أو مصالح معينة أن تعرض وجهة نظرها على أعضاء الكونجرس ولجانه (المسيري 1983، ص. 237).

وقد كان مؤتمر الأيباك عام 2006 أهم وأكبر المؤتمرات التي عقدتها اللجنة نصرة لإسرائيل حيث حضره أكثر من نصف أعضاء مجلس الشيوخ وأكثر من ثلث أعضاء مجلس النواب450كما حضره 5000 شخص وذهب4500 منهم للكونجرس من أجل حشد التأييد لإسرائيل في آخر أيام المؤتمر،هذه اللجنة تعتبر ثاني أقوى جماعات الضغط في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الجمعية الأمريكية للمتقاعدين، كما تضم هذه

المنظمة نحو 4500 من كبار الشخصيات اليهودية، ويشارك في عضويتها أكثر من 50 ألف عضو يتبرع كل فرد منهم بمبلغ يتراوح بين (25-5000) دولار، وبحلول أواسط الثمانينات بلغ عدد موظفيها خمسة وسبعين موظفا بميزانية سنوية تبلغ 50.700.000 دولار (أبودلبوح 2010، ص. 534).

أهداف اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة "أيباك":

- بذل الجهود الكاملة من أجل دفع الإدارة الأمريكية إلى دعم إسرائيل وسياستها لاسيما لجهة الحصول على مساعدات أمريكية إقتصادية وعسكرية، وقروض بأفضل الشروط الممكنة، حيث استطاعت أيباك في فترة من (1951-2004) الضغط على الإدارة الأمريكية ورفع حجم المساعدات الأمريكية إلى (83) مليار دولار.

- حمل الإدارة الأمريكية على تبني سياسة إسرائيل تجاه العرب، وفي شؤون أخرى منها على سبيل المثال ما قام به اليهود في حملتهم المعروفة ضد الإتحاد السوفياتي –سابقا- للسماح لليهود السوفيات بالهجرة إلى إسرائيل.

- كما تحاول "أيباك وبشكل مستمر ربط الأمن الأمريكي بالأمن القومي الإسرائيلي حتى يصبح الشعور السائد أن هذا الرابط لا يمكن قطعه أو فصله وأن المصالح واحدة وباعتراف مسؤولين أمريكيين سابقين كبار فإن العالم بطرقه الخاصة والمميزة نحو تحديات نعتبرها تهدد أمن إسرائيل وأمن العالم.

- تحاول "الأيباك" استغلال تلك الثغرات الموجودة في النظام السياسي الأمريكي سواء ما تعلق بنظام الإنتخاب الخاص برئيس الجمهورية وأساليب توزيع السلطة في مجلس النواب والشيوخ وطبيعة القضايا التي تثار في الإنتخابات وتركيب الأحزاب الأمريكية وغيرها ومحاولة النفوذ داخلها والتأثير على المشرعين والرأي العام.

- تسعى "الأيباك" إلى التأثير على صانعي القرار الأمريكي من جهة ومن جهة أخرى تحاول أن تضغط على السلطات الأمريكية بحيث لا تستطيع مناقشة أي قرار يمس المصالح الإسرائيلية دون أن تعلم به تل أبيب (الحكومة الإسرائيلية) وذلك من خلال التغلغل داخل مؤسسات صنع القرار الأمريكي (ياسين 1984، ص. 94).

ويمكن القول أن الهدف الأساسي والرئيسي للأيباك أنها تحاول أن تجعل من إسرائيل دولة إقليمية مهيمنة على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والعسكرية من خلال تقوية العلاقات الأمريكية –الإسرائيلية وتحويل تلك العلاقات من عادية إلى علاقات إستراتيجية تمس كل المجالات الحيوية حفاظا على المصالح المشتركة الأمريكية والإسرائيلية في منطقة الشرق الأوسط عموما وقضايا الصراع الفلسطيني –الإسرائيلي - خصوصا-، إذن فالهدف الذي تأسست من أجله الأيباك هو التأثير على توجهات السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط.

آليات عمل "أيباك" اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة

وبالنسبة لآليات عملها داخل الكونجرس تقدم "إيباك" تقريرا لكل عضو في الكونجرس عن كيفية التصويت لصالح إسرائيل وتزود الأعضاء بالبيانات والوثائق الخاصة بالمواضيع التي تعرض على الكونجرس والتي تهم إسرائيل وتدعم وجهة نظرها، كما تدعم وتعزز ذلك بالمكالمات الهاتفية والزيارات الشخصية والتودد إلى معاوني أعضاء الكونجرس والذين يقومون بدور مهم وراء الستار من أجل سياسات معينة ومن أجل عرض مواقف خاصة وإجراء إتصالات لممثليهم. (المسيري 1983، ص. 237).

كما أنها ترسل نشرات دعائية أسبوعية تسمى "تقرير الشرق الأوسط" توزع مجانا إلى جميع أعضاء الكونجرس بغرض كسب التأييد للقضية التي تهم إسرائيل، كذلك تعكف لجان العمل السياسي على جمع التبرعات والأموال وتقديمها للمترشحين المساندين بحجة أن نشاطها هذا من أجل إرساء حكومة جديدة، أو تعطي عبارة ذات مفهوم إيجابي لعموم المجتمع، ولكن عند العمل مع المرشح فإن الأمر يختلف فلا تقدم له الصكوك إلا بعد التعهد بالتزام الخط الصهيوني.

3. الحروب التماثلية Symmetric Warfares

لقد ادرك الفكر الإسرائيلي ان إقامة الدولة و سط بيئة معادية ورافضة لوجودها سيواجهه العديد من التهديدات على رأسها الحروب التناظرية أو النظامية، التي يكون طرفاها دولة او حلف من الدول، وهذا ما أدى بالمنظرين الاوائل الى تأسيس منظمة " الهاجانا " سنة 1921،والتي افرزت الفيلق العسكري الخاص بها والمسمى " البالماخ " سنة 1941، الذي ضم كبار القادة المؤسسين في تلك المرحلة أمثال "yigal aloon" "إسحاق رابين،"حاييم برليف" "دافيد أليعازر" (Inbar1998 ,p.52)، وكان التخوف الأكبر بالنسبة لهؤلاء القادة الاختلال الكمي الذي يميل لصالح دول الطوق، في شقه العسكري من عتاد وأسلحة وذخائر، او الشق المتعلق بأعداد المقاتلين الذين تمت تعبئتهم للمشاركة في هذه الحروب، زد على ذلك ما ميز مثلا المواجهة الأولى سنة 1948 هي الانكشاف الجغرافي وانعدام الحدود التي يمكن الدفاع عنها، وغياب استراتيجية عربية دقيقة للمواجهة كونها كانت فجائية بالنسبة لهم، وهو ما اسفر عن هزيمة لدول الطوق ترتب عنها نتيجتين أساسيتين هما:

- انشاء جيش الدفاع الإسرائيلي الموحد Israeli defense forces في 26 ماي 1948 .

- التوقيع على معاهدة الدفاع العربي المشترك بين كل من سوريا، لبنان، الأردن، العراق والسعودية سنة 1950 من اجل الانتقام لهذه الهزيمة.

بعد ذلك عرف الفكر الإسرائيلي مرحلة بداية الانفتاح الكثيف على الدعم العسكري الخارجي، بابرام الصفقات المختلفة لاقتناء المزيد من الأسلحة المتطورة على غرار صفقة الطائرات الفرنسية " mystére "، التي سمحت لأول مرة في حرب 1956 باستخدام سلاح الجو الإسرائيلي، من أجل تجسيد مبدأ نقل المعركة الى ارض العدو (Schiff1999 ,p.434)، وهو نفس المبدأ الذي اعتمده الفكر الإسرائيلي في حرب الأيام الستة 1967 six days war، حيث كان الهدف المسطر من قبل القادة هو الحصول على المزيد من الحدود بغية تقوية العمق الاستراتيجي، وإظهار محددات القوة الجديدة الإسرائيلية semonstrating power، وهو ما صرح به "Moshei dayen" قائلا:"لقد أصبح الدفاع عن حدود إسرائيل أسهل بكثير مما كان عليه في السابق" (دي بيلي 1992، ص. 133).

لقد حاولت الدول العربية بعد ذلك محاولة اخذ زمام المبادرة خلال حرب 1973، ومحاولة مباغتة الجيش الإسرائيلي وارباكه و هو ما تحقق على أرض الواقع حيث اثبتت وجود ثغرات في الإستراتيجية الإسرائيلية، وهو ما جاء في التقرير الخاص الذي أعدته اللجنة الفرعية التابعة للجنة القوات المسلحة في

الكونغرس الأمريكي، وهو ما أكده أيضا "إيتان هيفر" عند انتقاده للقادة العسكريين الذين أداروا الحرب بقوله :"كانوا منذ اللحظة الأولى واثقين بأن الطائرة والدبابة تحلان المشكلة. (Yinion 1982,p.82)

4. الحروب اللاتماثلية Asymmetric Warfares

شهد الفكر الإسرائيلي تحولا جذريا في التحديات التي تواجه مبدأ الحفاظ على بقاء الدولة واستمراريتها survival، بالانتقال الى تهديدات جديدة برزت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 بقوة، متمثلة في التنظيمات الجديدة تحت الدولاتية، التي أصبحت تحاول ان تملأ الفراغ الاستراتيجي الذي خلفه تراجع الشعور العدائي لدى الدول العربية، على غرار كل من حزب الله اللبناني وحركة حماس الفلسطينية، فالقاسم المشترك بين هذه الفواعل الجديدة هي:

- الغاء العامل المكاني: بواسطة سرعة الحركة والاختباء والاعتماد على المواجهات غير المباشرة والمكشوفة، وفق مبدأي المباغتة والكر والفر.

- الغاء العامل الزماني: محاولة افشال مبدأ الحرب الخاطفة الذي ميز الفكر الإسرائيلي لعقود من الزمن، وهو ماجسدته كلا من حرب جويلية 2006 بين إسرائيل وحزب الله، فلأول مرة تستمر الحرب 33 يوما كاملا، وكذلك حرب غزة 2008 التي استمرت 23 يوم.

- فقدان الردع التقليدي أهميته: لم يعد التخويف بالقوة العسكرية الإسرائيلية التقليدية مجديا أمام هذه الفواعل الجديدة، حيث ان عملية اختطاف الجنديين الإسرائيليين عبر الحدود كانت بمثابة ذريعة الدخول في حرب 2006.

- الانتصار العسكري أصبح أمرا مستحيلا في هذا النوع من المواجهات، وبالتالي ضرورة مراجهة مفهوم النصر العسكري أصبح ضرورة حتمية للفكر الإسرائيلي، الذي أنتقل من النصر العسكريmillitary succes – غالب و مغلوب – الى النصر السياسي political victory الذي يعبر عن حالة سياسة من الاطمئنان من عدم وجود بذور جديدة للحرب.

- اعتماد الفواعل الجديدة على مبدأ خطوة خطوة step by step أثناء المواجهة، وعدم كشف كل الخطط والاستراتيجيات في مرحلة واحدة، و هذا ماجسده حزب الله في مواجهة 2006، حيث كانت مليئة بالمفاجئات الاستراتيجية و لأسلحة النوعية الجديدة التي استخدمها، أثرت بشكل مباشر في موازين القوى وسير العمليات .

- التركيز على دور الاعلام في احباط معنويات الإسرائيليين، وزيادة الحافزيو لعناصر هذه التنظيمات، تحت ما يسمى بحروب الجيل الرابع the 4th generation of wars (Meron 1999,p.409).

5. نجاح نظرية الردع الإسرائيلي

إن الردع هو التهديد باستخدام القوة من أجل منع الخصم من القيام بعملية ما، لكن نجاح الردع يشترط وجود عوامل سياسية واستراتيجية، وكلما تزايدت قدرة الرادع على معاقبة المرتدع (القدرات العسكرية) تتعزز بذلك الفعالية الردعية (عفرون2007، ص. 52)، أما الردع النووي "Nuclear Deterrence" فهو حسب"Thomas Schelling":"براعة وذكاء وخبرة صانع القرار في عدم استعمال السلاح النووي لتحقيق

أهداف سياسية"، عند إسقاط هذين التعريفين على الحالة الإسرائيلية نستطيع القول أن نجاح نظرية الردع النووي يكون في حالتين اثنتين وهما:

- عدم السماح لأي برنامج نووي من الوصول الى امتلاك الأسلحة النووية.

- الذهاب الى طاولة المفاوضات مع الدول المعادية بمنطق اللاتكافؤ النووي وبالتالي تقديم تنازلات من طرف هذه الدول الى إسرائيل وعلى رأسها مشاريع التطبيع، وهو ما تجسده مقولة "شيمون بيريز": "لقد امتلكنا السلاح النووي ليس للذهاب الى هيروشيما ونكازاكي جديدة وانما للذهاب الى أوسلو".

إن أهم هدف سعت إسرائيل إلى تحقيقه منذ نشأتها هو مسألة الأمن وضمان الوجود والاستمرار، وبالتالي عملت على بناء دولة قوية تستطيع مجابهة التحديات والأخطار المهددة لها، فكان الحصول على السلاح النووي ضرورة لانتقال إستراتيجية إسرائيل من مستوى الردع التقليدي إلى مستوى الردع النووي، إضافة إلى تمكنها من خلق عمق استراتيجي غير ثابت وفي توسع مستمر نظرا لسعي إسرائيل للحصول على مزيد من الأراضي تسمح لها بتحقيق مبدأ الحدود الآمنة، هذه المكتسبات الإستراتيجية الإسرائيلية كانت ولغاية أكثر من ستين سنة ذات فعالية، لقد حرصت إسرائيل على امتلاك السلاح النووي قبل أي دولة في منطقة الشرق الأوسط، حتى تكون الدولة النووية الوحيدة فيها، والقادرة على تدمير أي دولة تشكل تهديدا عليها، إن هذا الطموح الإسرائيلي تزامن مع المراحل الأولى لتشكيل هذه الدولة، فلقد صرح "Ben Gurion" سنة 1947 في محضر اجتماع اللجنة التنفيذية اليهودية بقوله: "عندما تقوم الدولة اليهودية في وسط هذا البحر من الحقد العربي عليها، فإن ضمانها الوحيد هو الحصول على سلاح علمي متطور من مستوى ذلك السلاح الذي حسمت به الولايات المتحدة الأمريكية حربها مع اليابان" ، وفي اجتماع للجنة السياسية الخارجية لحزب "المابام" الذي كان "Ben Gurion" يرأسه بتاريخ ماي 1954 قال : "إسرائيل إذا خسرت الحرب مرة خسرت الحياة إلى الأبد ولا يمكن أن أستريح إلا إذا كان لدى إسرائيل سلاح للردع النهائي – الردع النووي الإستراتيجي- يكون هو الحماية الأخيرة للشعب اليهودي" (هيكل2000، ص. 8)، لهذا عملت إسرائيل منذ البداية على احتكار هذا السلاح في الشرق الأوسط وفق مسارين متوازيين:

- تعزيز وتدعيم القدرات النووية سواء من الناحية الكمية من حيث عدد الرؤوس الذي تجاوز مائتي رأس نووي أو من الناحية النوعية من حيث القوة التفجيرية التدميرية التي وصلت فيها إلى مستوى القنابل الهيدروجينية.

- ضرب كل دولة من دول المنطقة تحاول الشروع في إقامة مشاريع نووية سواء سلمية فضلا عن عسكرية، وهذا ما حدث للمفاعل النووي العراقي أوزيراك في 07 جوان1981.

ومن ثم فان من أولويات الفكر الاسرائيلي هي منع وقوع هذه الأسلحة في أيدي إيران، لذلك حذر رئيس الموساد "ماثير دوجان" في ديسمبر 2005 لجنة الشؤون الخارجية والدفاع في الكنيست، من أن البرنامج النووي الإيراني اقترب من الوصول إلى نقطة الاستقلال الفني والتي لن تكون إيران في حاجة إلى مساعدة خارجية أو دولية لتخصيب اليورانيوم من أجل استخدامه في بناء أسلحة نووية، وفي نفس الوقت توصل "شيمون بيريز" نائب رئيس الوزراء إلى استنتاج مفاده أن إيران هي الأكثر تهديدا للأمن العالمي، كذلك صرح

"شاؤول موفاز" وزير الدفاع الأسبق قائلا: "من بين جميع التهديدات التي نواجهها يعتبر التهديد الإيراني هو الأخطر علينا، ومن ثم ينبغي على العالم ألا ينتظر، بل أ، يعمل كل ما هو ضروري على المستوى الدبلوماسي من أجل أن يوقف أنشطة إيران النووية، في مقابل هذا شهدت فترة انتخاب "أحمدي نجادي" كرئيس للجمهورية الإسلامية الإيرانية تصعيدا في حدة الخطابات، فبعد شهور من انتخابه وفي خطاب أمام مؤتمر في طهران حول عالم بدون صهاينة، طالب "نجاد" بإزالة إسرائيل من الخريطة .

إن نجاح منطق الردع النووي لا يقبل بوجود طرف نووي مقابل، وهذا ما حدث في السباق النووي بين الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفياتي سابقا، وبالتالي إذا طورت أي دولة أسلحة نووية فلن تبقى إسرائيل الدولة الأقوى في المنطقة.

إن اكتساب إسرائيل للسلاح النووي أدى إلى انفرادها بالسيطرة على أسلحة الدمار الشامل في منطقة الشرق الأوسط، مما أتاح لها إقامة "حدود الخوف" أمام العرب، وتطبيق سياسة "الردع النووي" تمكنها من ممارسة أسلوب الإملاء على العرب، وهو ما تحدث عنه "moshei dayan" بعدم قدرة إسرائيل على مجاراة الدول العربية في سباق التسلح التقليدي الذي قد يؤدي إلى عدم تحملها لانعكاسات ذلك على اقتصادها بصفة خاصة والمجالات الأخرى بدرجة أقل، بقوله :"إن إسرائيل وصلت إلى أقصى حدود القدرة على استيعاب كمية إضافية من الأسلحة التقليدية، ويجب أن نحاول الوصول إلى خيار ذري، حتى يعرف العرب أننا نستطيع أيضا تدميرهم، إذا نشأ وضع أصبح فيه وجود الدولة عرضة لخطر كبير "ويضيف:"لا نستطيع أن نطور إلى ما لا نهاية أجيالا عديدة من الطائرات، ونحول البلد بأكمله إلى مخزن سلاح واحد كبير، نحن مضطرون إلى التشديد على نوعية السلاح لا على كميته، وعلينا التزود بسلاح مدمر، يخدم كعامل ردع إزاء الدول العربية، وأننا لا نستطيع اللحاق بكميات السلاح الضخمة التي تزودت بها الدول العربية وعلينا من الآن السير في طريق آخر" (Feldman 1995,p.107).

6. مسألة التطبيع

لقد اعتمدت إسرائيل مقاربة التطبيع كألية جديدة في تعاملها مع الدول العربية و على رأسها منطقة الشرق الأوسط او دول مجلس التعاون الخليجي ، و من الخطأ الاعتقاد ان هذه المقاربة ترتكز في بنائها على البعد السياسي ، الذي يهدف الى الاعتراف بأحقية الوجود الإسرائيلي في المنطقة و الذي أصبح أمرا مفروغ منه ، و بناء جسر من علاقات التعاون و الصداقة بينها ، بل أن المحدد الاقتصادي الهادف الى خلق الثروة ، و السيطرة على موارد القوة الاقتصادية الحيوية بالدرجة الأولى هو الهدف المركزي ، و يمكن تلخيص اهم الأهداف المرجوة من عملية التطبيع في النقاط التالية:

- استيراد النفط والغاز الإسرائيلي بأرخص الاثمان من منطقة الشرق الأوسط عوض استيرادها من خارج المنطقة وبتكلفة مرتفعة، إذ أن احتياطات البترول في دول الشرق الأوسط، ما نسبته 89% من احتياطي منظمة الأوبك، و 65% من احتياطات العالم ككل، وتنتج منطقة الشرق الأوسط حوالي ثلث الإنتاج العالمي من النفط،

أما الغاز الطبيعي فهو يعد أيضا من أهم مصادر الطاقة، فقد بلغ احتياطي منطقة الشرق الأوسط ما نسبته 40% من الاحتياطي العالمي (كيمب 2005، ص. 75).

- السوق الخليجية تعتبر واحدة من أكبر الأسواق العالمية ذات النمط الاستهلاكي المتسارع، وهو ما جعلها منطقة جذب واستقطاب للاستثمارات الأجنبية في مختلف المجالات الاقتصادية، فقد بلغت نسبة 23% من الاستثمارات العالمية في عام 2009. (كيمب 2005، ص. 77).

- جعل السوق الخليجية مركزا لتوافد اليد العاملة والمهاجرين الإسرائيليين عبر العالم، اذ تشير بعض الاحصائيات الى وجود أكثر من 5 مليون إسرائيلي، يشكلون تحدي في كيفية خلق مناص شغل لهم. (Harris 2015,p.7)

- فتح ملف التعويضات لليهود الذين تم طردهم من الجزيرة العربية، من خلال توضيف البعد التاريخي في ذلك، فهناك تقارير تشير الى اهتمام كل من مركزي جافي jaffee، و moshe dayan الذي يراسه " مارتن كرامر " حول مصير كل من بنو قريضة، و بنو قينقاع ، و بنو نظير، و خير دليل ما تعانيه المانيا من ما اصطلح عليه بالمحرقة اليهودية .

- البحث عن موارد مياه جديدة على غرار نهر الأردن ونهر الليطاني، لان دول الخليج العربية تُعَدُّ من أكبر مناطق العالم إنتاجًا للمياه غير التقليدية، إما بواسطة تحلية مياه البحر، أو بواسطة تنقية مياه الصرف الصحي وإعادة استخدام مياه الإنتاج الزراعي. (الفراء 2015، ص. 2)

- توطين اللاجئين الفلسطينيين الذين تتراوح اعدادهم بين 3.5 و 4 مليون لاجئ في الخليج لأنها منطقة تعاني من ندرة سكانية من جهة، ومن جهة أخرى إيجاد حل لجزئية مهمة في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وافراغه من محتواه، لتبقى فقط قضية القدس و مشكلة الحدود محل التنازع بينهما، وهو الامر الذي يتبناه كل من " ادوارد لوتواك " و" مارتن كرامر " بالإضافة الى كل من " شيمون بيريز " و "إسحاق رابين ".

خاتمة:

إن قيام دولة إسرائيل بطريقة غير طبيعية، مرتكزة على عنصر القوة في بناء كيانها والحفاظ عليها، جعلها تؤمن بأن السلام مع فلسطين و الدول العربية مستحيل و تمثل لدى العقل العربي إشكالية وجود ، و بالتالي استحالة تعايشها مع بيئة معادية ورافضة لها، وهو ما أدى إلى الاستعداد الجيد من خلال بناء تنظيمات عسكرية تحسبا للمواجهات إثر إعلانها كدولة، لذلك فإن الكثير من المحللين والأكاديميين من يعتقدون أن إسرائيل هي جيش له دولة، وليس دولة لها جيش، وهذا راجع إلى ادراك الفكر الإسرائيلي للتحديات والمخاطر والخصوصيات التي تواجه في كل مرحلة، ما جعلها تتبني اليات وأساليب جديدة في التغلغل و الاختراق، وهو ما أدى الى جر العديد من الدول العربية لتوقيع معاهدات سلام وتطبيع للعلاقات معها مثل مصر والأردن، الامارات، البحرين، المغرب والسودان، فهذا ليس راجع لرغبة هذه الدول في الابتعاد عن خيار الحرب وتبني خيار السلام، وإنما يعود لسببين رئيسين هما: نجاح نظرية الردع الإسرائيلية، والتي تعتبر ضلعا هام في الفكر الإسرائيلي، إضافة إلى التغير الحاصل في أجندات هذه الدول، حيث أصبحت المصالح الاقتصادية الضيقة في هرم هذه الأجندات، وتصبح المعضلة الإسرائيلية منحصرة في جزئية نزاعية حدودية بينها وبين فلسطين .

قائمة المراجع:

1. أحمد أبودلبوح. (2010). اللوبي الصهيوني وأثره على السياسة الخارجية الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية 2008-1948. *مجلة أبحاث اليرموك*.

2. الفراء, ط .(2015) .*أمن الموارد المائية في دول الخليج العربية: الواقع والمستقبل* .قطر : مركز الجزيرة للدراسات.

3. المسيري, ع .(1983) .*انهيار إسرائيل من الداخل* .القاهرة: دار المعارف.

4. بلقاسم بومهدي. (2001). *الخيار النووي في الشرق الأوسط*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

خوجة , م .(2007) .الانعكاسات العسكرية والسياسية للثورة الجديدة في الشؤون العسكرية .الجزائر : كلية العلوم السياسية والإعلام.

5. دي بيلي, س .(1992) .*الحروب العربية الإسرائيلية وعملية السلام*) .ا. فرحات (.Trad ,بيروت: دار الحرف العربي.

6. عبير عبد الرحمان ثابت. (2009). دور مراكز الفكر والدراسات في صناعة القرار الإسرائيلي" مركز جافى أنموذج ". الجزائر، الجزائر: كلية العلوم السياسية والإعلام.

7. عفرون, ي .(2007) .*الردع وقيوده ، في يوم حرب على لبنان أطول الحروب وأكثرها فشلا وتكلفة ، مجموعة مؤلفين إسرائيليين*) .أ. أبو هدبة (.Trad ,بيروت: مركز الدراسات الفلسطينية.

8. كيمب , ج .(2005) .*الخليج و تحديات المستقبل* .أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات و البحوث.

9. هيكل, م .(2000) .سياحة صيف في الوثائق الإسرائيلية .*جريدة الأحرار*.

10.ياسين, ع .(1984) .اللوبي الصهيوني والطريق إلى البيت الأبيض .*مجلة دار البيان*.

1. Feldman , S. (1995, Mars). l'extension du TNP et la maitres des armements nucléaire-an moyen orient. *politique étrangère*.

2. Harris, D. (2015, December). Israel and theArab-Israeli Conflict. *global jewish advocacy*.

3. Inbar, E. (1998, January). Israeli national security (1973-1996). *annals of American academy of political and social science*.

4. Meron, G. (1999). Isreal's national security and the myth of exceptionalism. *political science quarterly*.

5. Patrick, T. (2011). Development, Global Diversity and Roles in International Affairs. *GIGA FOCUS*.

6. Schiff, T. (1999). fifty years of isreali security, the central role of defense system. *middle east journal*.

7. Yinion, O. (1982). a strategy for Israel in the ninteen eighties. *journal of judaism and zionism*.